النظريات في علم الاجتماع

يذكر علماء الاجتماع أن التيارات الفكرية التي صاحبت ظهور هذا العلم ونشأته، لا تزال تؤثر في توجهه النظري حتى الآن. والحقيقة أن مختلف النظريات في هذا العلم تصب في اتجاهين أساسيين، يتميز كل منهما برؤية خاصة للواقع الاجتماعي: اتجاه محافظ، واتجاه رافض وثوري. والنظريات عبارة عن طرق مختلفة لإدراك الحقائق الاجتماعية وتفسيرها. وتعرف النظرية بأنها: "مجموعة مبادئ وتعريفات مترابطة، تفيد في تنظيم جوانب مختارة من العالم الأمبير يقي على نحو منسق ومنتظم " ، فهي تتكون من قضايا مترابطة منطقياًن وقابلة للتحقق الواقعي، وتنطوي على دعاوى وبديهيات أساسية. وتعد النظرية مسألة أساسية في العلم. ويرى المطلعون في ميدان النظرية، أن البحث دون سند من نظرية، أو دون اتجاه نظري، ليس إلا نوع من العبث، وذلك لأن النظرية في علم الاجتماع مستمدة أصلاً من نتائج دراسة عملية، أجريت فعلاً في الواقع الاجتماعي، وتؤدي نظرية علم الاجتماع الوظائف التالية:

1- تصنيف الأحداث الواقعية وتنظيمها.
2- تفسير أسباب الأحداث التي تقع، والتنبؤ بما يمكن أن يحدث في المستقبل، في إطار شروط معينة.
3- تقديم فهم علمي شامل بالقوانين التي تحكم حركة الأحداث في الواقع الاجتماعي. وسوف نشير فيما يلي إشارة سريعة ومقتضبة إلى أبرز المواقف النظرية في علم الاجتماع:

أولا: النظرية البنائية الوظيفية

يلخص أحد علماء الاجتماع الأفكار الرئيسة التي تعتمد عليها هذه النظرية في 6 نقاط هي:

أ) يمكن النظر إلى أي شيء، سواء كان كائناً حياً، أو اجتماعياً، أو سواء كان فرداً، أو مجموعة صغيرة، أو تنظيماً رسمياً، أو مجتمعاً، أو حتى العالم بأسره، على أنه نسق أو نظام، وهذا النسق يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة، فجسم الإنسان نسق، يتكون من مختلف الأعضاء والأجهزة، وكذلك شخصية الفرد، والمجتمع، والعالم.

ب) لكل نسق احتياجات أساسية لا بد من الوفاء بها، وإلا فإن النسق سوف يفني، أو يتغير تغيراً جوهرياً، فكل مجتمع مثلاً يحتاج أساليب لتنظيم السلوك "القانوني"، ومجموعة لرعاية الأطفال "الأسرة"، وهكذا.

ت) لا بد أن يكون النسق دائماً في حالة توازن، ولكي يبقى كذلك فلا بد أن تلبي أجزاؤه المختلفة احتياجاته، فإذا اختلت وظيفة أحد الأجزاء فإن الكل يصبح في حالة عدم اتزان.

ث) كل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفياً، أي يسهم في توازن النسق، وقد يكون ضاراً وظيفياً، أي يقلل من توازن النسق، وقد يكون غير وطيفي، أي عديم القيمة بالنسبة للنسق.

ج) يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة متغيرات أو بدائل، فحاجة المجتمع لرعاية الأطفال مثلاً يمكن أن تقوم بها الأسرة، أو دار الحضانة، وحاجة المجتمع إلى التماسك، قد تتحقق عن طريق التمسك بالتقاليد، أو عن طريق الشعور بالتهديد من عدو خارجي.

ح) وحدة التحليل يجب أن تكون الأنشطة أو النماذج المتكررة. فالتحليل الاجتماعي الوظيفي، لا يحاول أن يشرح كيف ترعى أسرة معينة أطفالها، ولكنه يهتم بكيفية تحقيق الأسرة كنظام لهذا الهدف. وهدف التفسير الوظيفي، هو الكشف عن كيفية إسهام أجزاء النسق في تحقيق النسق ككل، لاستمراريته، أو في الإضرار بهذه الاستمرارية. وقد سميت هذه النظرية بالبنائية الوظيفية لأنها تحاول فهم المجتمع في ضوء البنيات التي يتكون منها، والوظائف التي تؤديها هذه البنيات.

ثانيا: النظرية البنيوية

من اهم واقدم النظريات الاجتماعية المعروفة . والبنيوية لا يدرسها علماء الاجتماع فحسب بل يدرسها أيضاً علماء اللغة وعلماء النفس وعلماء البيولوجيا (الأحياء بل وحتى علماء الفلسفة)

وكل مجموعة من هؤلاء الاختصاصيين يعنون بها شيئا معينا يتأتى من اختصاصهم وفي الوقت نفسه يخدم الاختصاص ويطوره في ضروب معينة، فالبنيوية عند استخدامها في علم اللغة تعني اصول تراكيب الكلمات والمصطلحات والجمل والفقرات، اذ ان لكل كلمة أو مصطلح تركيبة البنيوي، أي الاجراءات الاساسية التي يتكون منها. كما أن الكل جملة في اللغة تركيبها الذي يتكون من مجموعة الكلمات أو المصطلحات. اذا تتحلل الجملة تحليلا بنيويا الى كلمات والكلمة الواحدة تتحلل الى حروف هي بمثابة العناصر الأساسية التي تتكون منها الكلمة.

وتستخدم النظرية البنيوية في علم البيولوجيا الذي يدرس مجموعة فصائل الحيوانات والنباتات. ذلك أن الحيوان له تركيب أو بناء يتكون من مجموعة الأجهزة العضوية، والجهاز العضوي الواحد في الحيوان كالجهاز العضلي او العظمي او العصبي يتكون من مجموعة الخلايا .(اما استخدام البنيوية في دراسة المجتمع فهو استخدام لا يختلف كثيرا عن الاستخدام اللغوي أو البايولوجي. ذلك أن للمجتمع بناء يتكون من مجموعة المؤسسات أو الأنظمة الاجتماعية الفرعية والنظام الفرعي الواحد يتحلل إلى الأدوار البنيوية ، والدور الواحد يتحلل الى الواجبات والحقوق الاجتماعية).

1- متى تأسست النظرية البنيوية ومن هم اهم روادها.

تأسست النظرية البنيوية في نهاية القرن التاسع عشر واستمرت بالنمو والتطور حتى منتصف القرن العشرين . (وقد كان تأسيسها يستند إلى ظهور مفكرين اجتماعيين معروفين أمثال **اوجست كونت** وكولدن ويزر وكلود ليفي ستراوس ومارسيل ماووس ، ويرجع ايضا الى نشر مؤلفات مهمة " كالسكون الاجتماعي " وعلم الاجتماع الوضعي " نكونت ، والطوطمية " لكولدن ويزر ، والبني الأولية للقرابة " الليفي ستراوس ، واخيرا كتاب " الهدية " لمارسيل ماووس . علماً بأن رواد النظرية البنيوية جميعهم يركزون على موضوع البني أو الأنساق الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي كالبناء الديني والبناء الأسري والبناء السياسي والبناء العسكري ، والبناء التربوي . . . الخ

وان هذه البني مختلفة في اشكالها ومضامينها ولكنها متكاملة ومتضامنة بعضها مع بعض اذ ان كل بناء الاجتماعي يسند ويعضد البناء أو البني الاجتماعية الأخرى ، وهذا ما يؤدي إلى ظهور ما يسمى بالتكامل الاجتماعي) . ومن الجدير بالذكر أن هؤلاء المنظرين الاجتماعيين لا يعالجون أجزاء البناء وعلاقتها بالبني الأخرى فحسب بل يدرسون ايضاً تحليل البناء أو النسق الواحد الى عناصره الأولية ويتناولون بالبحث والدراسة الترابط بين الجراء او اركان النسق مع اشتقاق قوانين تتعلق بطبيعة تغير الإنساق من شكل الى شكل آخر والتركيز على الأسباب الموضوعية والذاتية الداعية للتحول او التغيير الذي يعتري الانساق أو الأجزاء التي يتكون منها المجتمع

.

ان الاضافات التي قدمها اوجست كونت (١٧٩٨ - ١٨٠٨ (**للنظرية البنيوية** كانت في منتصف القرن التاسع عشر، في حين الاضافات التي قدمها كولدن ويزر (١٩٩٠ - ١٨٨٠) للنظرية البنيوية كانت في عقدي الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين . أما الفترة الزمنية التي قدم فيها مارسيل ماووس (١٩٥٠ - ١٨٧٢) اضافاته النظرية الاجتماعية فقد كانت خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين . واخيرا قدم كلود ليفي ستراوس (١٩٠٨ - ١٩٨٩) اضافات للنظرية البنيوية خلال حقبة الستينات والسبعينات من القرن العشرين.

ثالثا: النظرية الماركسية (النظرية الصراعية)

تقوم الماركسية - بوصفها نظرية في علم الاجتماع - على مسلمتين أساسيتين هما:

أ) أن العامل الاقتصادي هو المحدد الأساسي لبناء المجتمع وتطوره، فعلاقات الإنتاج في مجتمع ما، هي التي تحكم وتحدد كافة مظاهر الحياة في هذا المجتمع، أي البناء الفوقي من سياسة، وقانون، ودين، وفلسفة، وأدب، وعلم، وأخلاق.

ب) النظر إلى العالم بما فيه المجتمع، من خلال الإطار الجدلي: الموضوع ونقيض الموضوع، والمركب منها، وهو إطار مستمر لا يتوقف، ويقول تيماشيف: "إذا ركّبنا المسلمتين الأساسيتين لماركس معاً، خرجنا ببعض النتائج، فكل نسق من الإنتاج يبدأ بحالة إثبات، حيث يكون أكثر النظم الممكنة كفاءة في ذلك الوقت، لكنه متى عزز اجتماعياً يصبح عقبة أمام تطبيق الاختراعات التكنولوجية، والإفادة من الأسواق الحديثة، والمواد الخام، ولا يمكن للتطور التاريخي أن يقف عند هذه المرحلة، فالنظام المعزز اجتماعياً ينبغي القضاء عليه بواسطة ثورة اجتماعية، تخلق نظاماً جديدا لإنتاج، مركب من القديم والجديد."